https://doi.org/10.26682/hjuod.2023.26.2.18
مجلة جامعة دهوك، المجلد: 26، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 270-284، 2023

قِراءةٌ بَلاغيّة في آيات (كُنْ فَيَكُوْنُ)

مثنى محمود اسماعيل
قسم اللّغة العربية، فاكولتي العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، أقليم كردستان–العراق

(تاريخ استلام البحث: 24 أيار، 2023، تاريخ القبول بالنشر: 24 آب، 2023)

الخلاصة

تعرّض البحث لعددٍ من القضايا البلاغية حول الآيات القرآنية التي احتوت قول الله تعالى: (كُنْ فَيَكُوْنُ)، فمنها ما أظهرت إشارات متعلّقة بعلم المعاني، وكذا ما تعلّقت بعلمي البيان والبديع، ذلك من خلال التحليل البلاغي للآيات التي تضمّنت فنون تلك العلوم، ومنها محاولة للوقوف عند بعض أسرارها بحسب السياقات التي وردت فيها، كورود صيغ الأفعال ودلالتها الناتجة من تغاير الزمن (الماضي والمضارع والأمر)، ومنها ما تناولت التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية فيها عند اختلاف إعراب الفعل في موضعه الذي ورد فيه، وعرض آراء العلماء ومذاهبهم في معاني زمن الفعل المضارع المقترن بالفاء بعد الكون المتمثلة في قوله تعالى: (كُنْ فَيَكُوْنُ) فضلاً عن توجيهاتهم في قوله تعالى: لـ (الشَّيء أو شَيئاً) التي جاءت في سياق الآيات هل كان القصد منها في الغيب أم الشهادة؟ فمنهم من ذهب الى أن الغيب لا يحتمل الأمر بقوله: (كُنْ) لأنّ الشيء غير موجود في عالم الشهادة وربط ذلك بالكينونة في علم الله فكان كالموجود، وآخرون رأوا أنّ مراد الفعل إنّما هو التمثيل لنا؛ لأنّ الأمر متعلّق بمشيئة الله وإرادته جل في علاه، فمتى ما أراد كان الشيء المراد حاصلاً دون قوله: (كُنْ)؛ لأنّ أمره تعالى لا يفتقر إلى (كُنْ)؛ لذلك كان تصويراً وتمثيلاً للقارئ والمستمع معاً، وعليه كان هدف هذه الدراسة من خلال التوسّع بتحليل تلك الآيات الكريمة هو التعرّف على مثل هذه الأسرار الدقيقة الجليلة والله الموفّق للصواب .

الكلمات الدالة: بلاغة –كن فيكون – الخلق – السموات والأرض – القدرة والإرادة.

المقدمة

استمدّ الباحثون في دراساتهم البلاغية من القرآن الكريم بشكل كبير جداً؛ نظراً لما في هذا الكتاب الكريم من إعجاز بلاغي لا منتهى له، ولما في هذه الدراسات من لذّة للعقل والقلب؛ ذلك أن دراسة القرآن الكريم تُعدُّ لهما منهلاً عذباً لا تضاهيها دراسة أي علم آخر، ولعل دراستنا هذه تكون واحدة من تلك التي تحمل في طياتها أموراً تنفع الدراسين جرياً على خلاف ما سبقتها من الدراسات، فقد اخترنا تحليل الآيات التي ورد فيها قول الله تعالى: **(كُنْ فَيَكُوْنُ)** رغبةً منا في التوصّل إلى بعض أسرارها، وهي آيات متفرقة في سبع سور من القرآن الكريم وهي: (البقرة، وآل عمران، والأنعام، والنحل، ومريم، ويس، ثم غافر) ونصوص الآيات هي:

1 – قوله تعالى: (**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [البقرة: 117].

2 – قوله تعالى: (**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [آل عمران: 47].

3 – قوله تعالى: (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)) [آل عمران: 59].

4 – قوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**) [الأنعام: 73].

5 – قوله تعالى: (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [النحل: 40].

6 – قوله تعالى: **(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [مريم: 35].

7 – قوله تعالى: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [يس: 82].

8 – قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [غافر: 68].

ولما كانت الآيات متداخلة من حيث احتواؤها على فنون البلاغة المختلفة تعذر تقسيم البحث بلاغياً لذلك اكتفينا في التقسيم أن نبدأ بتحليل الآيات وفقاً لما تناولتها من موضوعات في السياق القرآني ابتداءً من التي وردت في سورة البقرة وانتهاءً بالتي في سورة غافر، فجاء المبحث الأول ليكون عنوانه: **(بلاغة آيات كن فيكون المتعلقة بخلق السموات والأرض)** بينما أخذ المبحث الثاني عنوان: **(بلاغة آيات كن فيكون المتعلقة بخلق سيدنا عيسى –عليه السلام–)** وأما المبحث الثالث فكان له عنوان: **(بلاغة آيات كن فيكون المتعلقة بقضية بالبعث والنشور)**، ثم تلت هذه المباحث خاتمة تشير إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ختمنا كل ذلك بثبتٍ للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث راجين المولى عز وجل أن ينفعنا به والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

من معاني (كان) في العربية:

كان يكونُ كَوناً: وجاء في الكون أن (الكاف والواو والنون أصل واحد يدل على الإخبار عن حدوث شيءٍ إمّا في زمانٍ ماضٍ أو في زمانٍ راهنٍ. يقولون: كان الشيءُ يكونُ كَوناً إذا وقعَ وحضرَ قال الله تعالى: **(وَإِن كَانَ ذُو عُسرَة فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيسَرَة** [1] أي حضر وجاء ويقولون: كان الشتاءُ، أي جاء وحضر ، وأمّا الماضي فقولنا: كان زيدٌ أميراً، يريد إنَّ ذلك كان في زمان سالفٍ، وقال قومٌ: المكانُ اشتقاقه من كان يكون، فلمّا كثُرَ تُوُهِّمت الميمُ أصليّةً فقيل تمكّنَ كما قالوا في تمسكَنَ) [2].

وفي فعل الأمر والمضارع من (كان) يقول الزمخشري(ت538هـ): في معرض حديثه عن الآية الأولى التي في سورة البقرة إنَّ **(كُنْ فيكونُ)** من كان التامّة، أي:أحدث فيحدث) [3]وهو بمعنى الحدوث والكينونة، إذ المعنى (كنْ فكانَ– كأنّه قال: فإذا هو كائنٌ) [4] وقد يكون المعنى من الإيجاد كما ذهب إليه الشيخ الطاهر بن عاشور(ت1973م) فقد قال في قوله تعالى: **(كُنْ فيكونُ)**: (وكان في الآية تامة لا تطلب خبراً أي: يقول له إيجد فيوجد) [5]، ويرى قسم كبير من النحاة والبلاغيين أن من أبرز المعاني التي تأتي إليها كان هي: الماضي المنقطع أي: الاتصاف بالحدث في الزمن الماضي على وجه الثبوت أو عدمه، بمعنى إنه لم يكن وصفاً ثابتاً بل حصل مرة فقط، أو أن يكون المعنى هو الماضي المتجدد والمعتاد، أو لتوقع الحدوث في الماضي، أو الدوام والاستمرارية بمعنى(لم يزل)، أو للدلالة على الحال والاستقبال، أو الصيرورة، أو القدرة والاستطاعة، أو الإيجاد والكينونة، أو قد تأتي زائدة في الكلام وليس معنى ذلك أنها حينما تأتي زائدة ألاّ يكون لها دور البتّة في الكلام، إنما عنوا بذلك أنها لم يؤتَ بها لغرض الإسناد، وهكذا نرى تزاحم معانيها في الكلام بحسب سياقاته، وذهب بعضٌ إلى أن (كان) ليس فيها عنصر الحدث وإنما تجردت للزمن فقط لذلك نعتوها بـ (كان الناقصة)، لأن الفعل الحقيقي كما يقولون يدل على الزمن والحدث وكان) إنما تدل على ما مضى من الزمن فقط و(يكون) تدل على ما أنت فيه أو على ما يأتي من الزمن. [6]

المبحث الأول

(كُنْ فَيَكُونُ) في سياق خلق السموات والأرض

الآية الأُولى:

قوله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [7]

وردت الآية في سياق الرد على اليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من اللذين لا يعلمون ... حيث قالت اليهود: عزير ابن الله ، والنصارى: المسيح ابن الله ، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله، وتنزه الله وتقدس عمّا قالوا،[8]

بدليل قوله تعالى في الآية السابقة عليها: **(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ)** [9] وقوله: (**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) البديع: صفة مبالغة من أبدع وقد ورد بهذه الصيغة في موضعين فقط من القرآن الكريم الأول: في هذه الآية، والثاني: في قوله تعالى من سورة الأنعام (**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[10]، وعن مادة الإبداع يقول صاحب اللسان: البدع والإبداع والابتداع: الإنشاء والخلق، والبدع: الشيء يكون أولاً ،وأبدع الشيء اخترعه لا على مثال سبق [11]. والإبداع هو (إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ... وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلاّ لله) [12] ، (ولما كانت الآية في سياق الرّدّ على الضالّين كان الرّدّ بأحسن الصفات الدالة على الجمال والكمال ولا يقوم هذا المقام إلاّ لفظ(بديع) مضافاً إلى أعظم المخلوقات وأكملها (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بما فيهما من تقدير حسن وجمال وانسجام ؛ لذا نجد لفظ (البديع) أنسب الألفاظ لسياقه؛ لأن هؤلاء الكافرين يعلمون أنّ الله هو الخالق ولا ينكرون ذلك ،لكنهم يجعلون له ولداً فذكّرهم سبحانه بأنه بديع السموات والأرض وفي ذلك معنى زائد على معنى الخلق ، أي: هو موجدهما ومنظم شؤونهما وما فيها من كمال ونظام ، أفيحتاج مع هذا إلى ولد وهو الغني الكامل المالك) [13].

وفي قوله: (**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) خبر طلبي لاختياره الجملة الإسمية بدل الفعلية ابتداءً وإن كان المسند إليه محذوفاً، ما يجعلها في مقام المؤكد للخبر؛ لأنها تفيد التوكيد فأكد الخبر بها(والسبب في كون الجملة الإسمية تحمل تأكيداً لا تحمله الجملة الفعلية أنّ خبر الجملة الإسمية يحمل في التقدير الذي يلاحظ في ذهن العربي ضميراً يعود على المبتدأ أو ما أصله مبتدأ، فيكون حال الجملة الاسمية دواماً مثل حال تقديم ما هو فاعل في المعنى على فعله، وقد جرى فيها الإسناد إلى المسند إليه مرتين الأولى: إسناده إلى الاسم الظاهر ، والثانية: إسناده إلى الضمير) [14].

وقوله: (**بَدِيعُ**) (هو بالرفع خبر لمحذوف على طريقة حذف المسند إليه لاتباع الاستعمال كما في قوله تعالى: **(صُمٌّ بُكْمٌ)** [15]وذلك من جنس ما يسمونه بالنعت المقطوع) [16]. فالتقدير في الآية: هو بديع السموات والأرض أو الله بديع السموات والأرض [17],وحذف المسند إليه فيها لداع (التخييل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل وأن في ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر) [18].والإسناد واقع حقيقي لا مجاز فيه، بمعنى أن قوله: (**بَدِيعُ**) قد ورد على صيغة المبالغة لفظاً ومفاده (أن هذه الصيغ موضوعة في الأصل للدلالة على كمال الصفة ،وهذا الكمال لا يوجد في الناس، أو للدلالة على الكثرة والوفرة في أجزاء الصفة دون أن يكون ذلك على سبيل المبالغة بمعنى الزيادة على الحقيقة والواقع دوماً، فإذا أطلقت على غير مستحق الكمال فيها كان هذا الإطلاق على سبيل المبالغة، وإذا اطلقت على مستحق الكمال أو الكثرة فهو إطلاق على وجه الحقيقة ولا مبالغة فيه. فما يسمى بصيغ المبالغة إذا أطلقت على الله عز وجلّ فهي مطلقة بحسب وضعها اللغوي ولا مبالغة فيها) [19].

وفي قوله: **(السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)** طباق حقيقي باعتبار طرفيه وهو:(ما كان طرفاه بألفاظ الحقيقة اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين) [20]. وهنا طابق بين اسمين حقيقيين، والآية الكريمة بتمامها (**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) تصور قدرة الله في أوسع معانيها وسلطانه في أكمل مظاهره فجمعت بين الضدين **(السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)**؛ لأن ذكر المقابل لا محيص عنه لكمال القدرة وسعة السلطان، فكان اجتماع الضدين ضرورة لاكتمال الصورة وعظم السلطان [21].

قوله: **(وَإِذَا قَضَى أَمْرًا)** ذكر الإمام السيوطي من محامل لفظة (قضى) معاني كثيرة منها الفراغ والأجل، الفصل، المضي، والهلاك وغيرها [22]. أما هنا فمعناها الإرادة ((أي أراد شيئاً بقرينة قوله تعالى: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً**) في سورة يس [23]، وجاء القضاء على وجوه ترجع كلها إلى إتمام الشيء قولاً أو فعلاً ، وإطلاقه على الإرادة مجاز من استعمال اللفظ المسبب في السبب فإن الإيجاد الذي هو إتمام الشيء

مسبب عن تعلق الإرادة لأنه يوجبه.... (**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) الظاهر أن الفعلين من كان التامة لعدم ذكر الخبر مع أنها الأصل أي أُحْدُثْ فيحدث ، وهي تدلّك على معنى(كان) الناقصة لأن الوجود المطلق أعم من وجوده في نفسه أو في غيره والأمر محمول على حقيقته... والله تعالى قد أجرى سنته في تكوين الأشياء أن يكوّنها بهذه الكلمة وإن لم يمتنع تكوينها بغيرها، والمراد الكلام الأزلي لأنه يستحيل قيام اللفظ المرتب بذاته تعالى، ولأن (اللفظ) حادث فيحتاج إلى خطاب آخر فيتسلسل وتأخره عن الإرادة وتقدمه على وجود الكون باعتبار التعلق، ولما لم يشتمل خطاب التكوين على الفهم واشتمل على أعظم الفوائد جاز تعلقه بالمعدوم، وذهب المعتزلة وكثير من أهل السنة إلى أنه ليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال، وإنما هو تمثيل لحصول ما تعلّق به الإرادة بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف فهناك استعارة تمثيلية، حيث شبهت هيأة حصول المراد بعد تعلق الإرادة بلا مهلة وامتناع بطاعة المأمور المطيع عقيب أمر المطاع بلا توقف وإباء. تصويراً لحال الغائب بصورة الشاهد ثم استعمل الكلام الموضوع للمشبه في المشبه به من غير اعتبار استعارة في مفرداته وكان أصل الكلام إذا قضى أمراً فيحصل عقيبه دفعة فكأنما يقول له (كن فيكون) ثم حذف المشبه، واستعمل المشبه به مقامه)) (24)، وذكر السمرقندي قولاً آخر في قوله:(كن) حيث قال: (هذا خطاب للموجود أو للمعدوم، فإن قال الخطاب للمعدوم قيل له كيف يصح الخطاب لشيء معدوم وكيف تصح الإشارة إليه بقوله:(كن) فإن قال الخطاب للموجود قيل له كيف يأمر الشيء الكائن بالكون فالجواب عن هذا من وجهين أحدهما: أن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله تعالى قبل كونها فكان الخطاب للموجود في علمه، وجواب آخر: أن معناه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً يخلقه والقول فيه على وجه المجاز) (25).

الآية الثانية:

قوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**) (26).

عطفت الآية على التي قبلها وهي قوله تعالى: (**وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) وفي قوله: (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**) فضلاً عن الطباق الحاصل بين (**السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**) خبر مؤكد بإسمية الجملة وصولاً إلى القصر الحقيقي (إذ ليس ثمّ ردّ اعتقادٍ ؛ لأنّ المشركين يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء التي في السماء والأرض .... فالمقصود الاستدلال بالقصر على أنه هو المستحق للعبادة؛ لأن الخلائق عبيده .... والحق في الأصل مصدر (حقَّ) إذا ثبتَ ، ثم صار اسماً للأمر الثابت الذي لا ينكر من اطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل مثل (فلان عدْلٌ) والحق ضد الباطل ، فالباطل اسم لضِدِّ ما يسمى به الحق ، فيطلق الحق إطلاقاً شائعاً على القول والفعل الذي هو عدل ، وإعطاء المستحق ما يستحقه ، وهو حينئذٍ مرادف العدل ويقابله الباطل فيرادف الجور والظلم ، ويطلق الحق على الفعل أو القول السديد الصالح البالغ حَدَّ الإتقان والصواب ويرادف الحكمة والحقيقة ، ويقابله الباطل فيرادف العبث.....وفي قوله: (**قَوْلُهُ الْحَقُّ**) صيغة قصر للمبالغة، أي هو الحق الكامل؛ لأن أقوال غيره وإن كان فيها كثير من الحق فهي معرضة للخطأ وما كان فيها غير معرض للخطأ فهو من وحي الله أو من نعمته بالعقل والإصابة، فذلك اعتداد بأنه راجع إلى فضل الله والمراد بالقول كل ما يدل على مراد الله تعالى وقضائه في يوم الحشر، وهو يوم يقول كن، من أمر تكوين، أو أمر ثواب، أو عقاب، أو خبر بما اكتسبه الناس من صالح الأعمال وأضدادها، فكل ذلك من قول الله في ذلك اليوم وهو حق، وخص من بين الأقوال أمر التكوين لما اقتضاه التقديم من تخصيصه بالذكر..... وقوله: (**وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**) جملة مستقلة وانتظامها كانتظام جملة (**وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ**) إلاّ أنَّ في تقديم المسند إليه على المسند قصر المسند إليه على المسند، أي الملك مقصور على الكون له لا لغيره لرد ما عسى أن يطمع فيه المشركون من

مشاركة أصنامهم يومئذ في التصرف والقضاء، والمقصود من هذا الظرف تهويل ذلك اليوم) (27).

وقد ظهر في قوله: (**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**) طباق آخر بين لفظتي (**الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**)، و كذلك حذف المسند إليه من قوله: (**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**) ولم يحذف من قوله: (**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرِ**) ذلك لمجيء أسلوب الكلام على طريقة حذف المخبَر عنه في مقام تقدّم صفاته فاستغنى عن المسند إليه لدلالة الصفة الواردة عليه، واعتماداً على طريقة الاستعمال في تعقيب الخبر بإيراد ما هو أعظم منه مما يجعل المخبَر عنه مسنداً إليه ويلتزم حذفه ؛ولذلك قال: (**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**) لأنها صفات تشير إلى المحاسبة على كلّ صغير وكبير ظاهر وخفي ، أما في قوله: (**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**) فقد أبقى على المسند إليه دون حذف. (28)

ومن جهة أخرى نجد أن النص قد حشّد في سياقه مجموعة حقائق عَقَدِية تؤثر في الإنسان وتخضعه للاستسلام التام لتلك القدرة الهائلة وما يجب عليه استعداداً ليوم الحشر، وقد أشار صاحب ظلال القرآن إلى هذا المعنى حينما ربط بين هذه الآية والتي قبلها بقوله:(وفي الإيقاع الأخير .... يحشد السياق المؤثرات من الحقائق الأساسية في العقيدة: حقيقة الحشر، وحقيقة الخلق، وحقيقة السلطان، وحقيقة العلم بالغيب والشهادة، وحقيقة الحكمة والخبرة... من خصائص الألوهية، التي هي الموضوع الرئيسي في هذه السورة:(...**وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) و(**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرِ**). (**وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) ..

إن الاستسلام لرب العالمين ضرورة وواجب... فهو الذي إليه تحشر الخلائق... وأولى لهم أن يقدموا بين يدي الحشر–الحتمي– ما ينجيهم، وأولى لهم أن يستسلموا اليوم له استسلام العالمين؛ قبل أن يقفوا أمامه مسؤولين، وكذلك يصبح تصور هذه الحقيقة–حقيقة الحشر– موحيًا بالاستسلام في المبدأ، ما دام أنه لا مفر من الاستسلام في المصير (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**. .)

وهذه حقيقة أخرى تحشد كمؤثر آخر، فالله الذي يؤمرون بالاستسلام له هو الذي خلق السماوات والأرض، والذي يخلق يملك ويحكم ويقضي ويتصرف، ولقد خلق السماوات والأرض بالحق، فالحق قوام هذا الخلق وفضلاً عما يقرره هذا النص من نفي الأوهام التي عرفتها الفلسفة عن هذا الكون – وبخاصة الأفلاطونية والمثالية – من أن هذا العالم المحسوس وهم لا وجود له على الحقيقة! – فضلاً عن تصحيح مثل هذه التصورات، فإن النص يوحي بأن الحق أصيل في بنية هذا الكون، وفي مآلاته كذلك، فالحق الذي يلوذ به الناس يستند إلى الحق الكامن في فطرة الوجود وطبيعته، فيؤلف قوة هائلة، لا يقف لها الباطل الذي لا جذور له في بنية الكون، وإنما هو كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وكالزبد يذهب جفاء ، إذ لا أصالة له في بناء الكون كالحق، وهذه حقيقة ضخمة، ومؤثر كذلك عميق . .) (29)

المبحث الثاني
(كُنْ فَيَكُونُ) في سياق خلق سيدنا عيسى
–عليه السلام–

الآية الأولى:

قوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (30)

قوله: (**قَالَتْ رَبِّ**) حذف حرف النداء من قوله: (**ربِّ**) وكثيراً ما يحذف حرف النداء في القران الكريم لا سيما مع لفظة (ربِّ) فأنّه يكاد يكون معدوماً، بل ينادى بها من غير حرف النداء ولعل في ذلك دلالة على شعور الداعي بشدة القرب من مولاه عز وجل، ولم تأتِ لفظة (**ربِّ**) مسبوقة بحرف النداء في القرآن كلهِ إلاّ في موضعين الأول: في قوله تعالى: (**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**) (31)، وأما الثاني ففي قوله تعالى: (**وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ**)(32).

ففي قوله تعالى: (**قَالَتْ رَبِّ**) يقول ابن عاشور: ((جملة

معترضة ، من كلامها بين كلام الملائكة والنداء للتحسر وليس للخطاب؛ لأنّ الذي كلّمها هو المَلَكُ ، وهي قد توجّهت إلى الله، والاستفهام في قولها: (**أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ**) للإنكار والتعجّب؛ ولذلك أجيب جوابين أحدهما: (**كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**) فهو لرفع إنكارها والثاني: (**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) لرفع تعجّبها.

وجملة (**قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**) جواب استفهامها ولم تعطف؛ لأنّها جاءت على طريقة المحاورات كما في قوله تعالى: (**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا**) [33] وما بعدها في سورة البقرة والقائل لها هو الله تعالى بطريق الوحي، واسم الإشارة في قوله: (**كَذَلِكِ**) راجع إلى المعنى المذكور في قوله: (**إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**.... إلى قوله... **وَكَهْلًا**)[34] أي مثل ذلك الخلق المذكور يخلق الله ما يشاء، واختار الأداء لفظة (**يَمْسَسْنِي**) بدلاً عن (يلمسني) لأنّ المسّ يقتضي انتفاء اللمس المادي الذي يكون بمقتضى الزواج وغيره ، وتطفح هذه الصورة المتجلّية في سياق الاستفهام التعجبي بمعاني البراءة والعفة والشرف والحياء التي اتّشحَت شخصية هذه الفتاة المتبتّلة وقد طهّرها الله تعالى واصطفاها على نساء العالمين ، فتحرّى الأداء القرآني وهو يصف موقف هذا الحوار أرقى مراتب النزاهة والعفّة لها دون أن ينال من ذلك قيد أنملة [35]، وتقديم اسم الجلالة على الفعل في قوله: (**اللَّهُ يَخْلُقُ**) لإفادة تقوية الحكم وتحقيق الخبر)) [36]، والمعنى المستفاد من الاستفهام الإنكاري الناتج من التعجب استبعاد عادي أو استفهام عن أن ذلك يكون بتزويج أو غيره؛ لذلك صاحبه التعجب فجاء الجواب بقوله: (**كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) وهو إشارة إلى أن الله تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً بأسبابها وموادها قادر على أن يخلقها من غير تلك الأسباب والمواد دفعة واحدة. [37]

وقوله: (**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) فيه كذلك أن(دليل العقل صَدَّ عن اعتقاد مخاطبة المعدوم وصَدَّ عن أن يكون الله تعالى محلاً للحوادث؛ لأن لفظة (**كُنْ**) محدثة، ومن يعقل مدلول اللفظ وكونه يسبق بعض حروفه بعضاً، لم يدخله شك في حدوثه، وإذا كان كذلك، فلا خطاب ولا قول لفظاً، وإنما ذلك عبارة عن سرعة الإيجاد وعدم (اعتياص ما يريد) فهو من مجاز التمثيل وكأنه قدر أن المعدوم موجود يقبل الأمر ويمتثله بسرعة بحيث لا يتأخر عن امتثال ما أمر به) [38] فالمراد من قوله: (**كُنْ**) بناءً على ما سبق سرعة نفاذ قدرة الله في تكوين الأشياء واختراعها لا بفكرةٍ ومعاناةٍ وتجربةٍ ومن غير مدافعةٍ وممانعةٍ.

وكذلك قالوا عن قوله تعالى: (**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) (وهذا كالحُجَّة على تَنْزيهه عن الولدِ، وبيانهُ: أن الَّذي يجعلُ للهِ ولداً، إما أن يكون الولدُ قديماً أزليّاً فهو محالٌ؛ لأنَّه لو كان واجباً لذاته، لكان واجبُ الوجودِ أكثر من واحدٍ، ولو كان مُمْكِناً لذاته لافتقر في وجوده إلى الواجب لذاته؛ لأنَّ الواجب لذاته غنيٌّ لذاته، فلو كان مفتقراً في وجودِهِ إلى الواجِبِ لذاتِه، كان ممكناً لذاته، والممكنُ لذاته محتاجٌ لذاته فيكُون عبداً له؛ لأنَّهُ لا معنى للعبُوديَّة إلاَّ ذلك، وإن كان الولدُ مُحْدَثاً، فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم، وإيجاده، وهو المرادُ من قوله تعالى: (**إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**) فيكونُ عَبْداً، لا ولداً؛ فثبت أنه يستحيلُ أن يكون لله ولدٌ.) [39].

الآية الثانية:

قوله تعالى: (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)[40].

جاءت الآية على طريقة الاستئناف لبيان ما نشأ من التوهم الحاصل عند النصارى عن وصف عيسى –عليه السلام– بأنه كلمة الله وأنه ليس إنسانا خالصاً بسببها ((فأراهم الله أن آدم –**عليه السلام**– أولى بأن يُدّعى له بذلك، فإذا لم يكن آدم إلاهاً مع أنه خلق بدون أبوين فعيسى أولى بالمخلوقية من آدم، ومحل التمثيل كون كليهما خلق من دون أب ويزيد آدم بكونه من دون أمٍ أيضاً؛ فلذلك احتيج إلى ذكر وجه الشبه (**خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**) أي خلقه دون أب ولا أم بل بكلمة (**كُنْ**)، مع بيان كونه أقوى في المشبه به على ما هو الغالب ، وإنما قال: (**عِنْدَ اللَّهِ**) أي نسبته إلى الله لا يزيد على آدم شيئاً في كونه خلْقاً غير معتادٍ لكم ؛ لأنهم جعلوا خلقه العجيب موجباً للمسيح نسبة خاصةً إلى الله وهي البُنوَّة

... والضمير في (**خَلَقَهُ**) لآدم لا لعيسى ؛ إذ علم الكل أن عيسى لم يخلق من تراب فمحل التشبيه قوله: (**ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) وجملة (**خَلَقَهُ**) وما عطف عليها مبيّنة لجملة (**كَمَثَلِ آدَمَ**) و(**ثُمَّ**) للتراخي الرتبي فإنَّ تكوينه بأمر (**كُنْ**) أرفع رتبةً من خلقه من تراب ، وهو أسبق في الوجود والتكوين المشار إليه بـ (**كُن**) وهو: تكوينه على الصفة المقصودة ؛ ولذلك لم يقل: كوَّنه من تراب ،ولم يقل: قال له كن من تراب ثم أحياه، بل قال: خلقه ثم قال له كن، ولفظة (**كُنْ**) تعبير عن تعلق القدرة بتكوينه حياً ذا روح ليعلم السامعون أن التكوين ليس بصنع يدٍ، ولا نحتٍ بآلةٍ، ولكنه بإرادةٍ وتعلُّقِ قدرةٍ وتخير الكائنات التي لها أثر في تكوين المراد حتى تلتئم وتندفع إلى إظهار المكوِّن ، وكل ذلك عن توجه الإرادة بالتنجيز، فبتلك الكلمة كان آدم أيضاً كلمةً من الله ولم يوصف بذلك ؛ لأنه لم يقع احتياج إلى ذلك لفوات زمانه، وإنما قال: (**فَيَكُونُ**) ولم يقل (فكان) لاستحضار صورة تكوّنِهِ ، ولا يحمل المضارع في مثل هذا إلاّ على هذا المعنى)) [41]؛ لذلك كانت المقارنة بين خلق آدم وعيسى –عليهما السلام– بمقياس العلة، والقصد منه مطلق التمثيل وضابطه ((أن يكون الجمع بين الفرع والأصل بنفس علة الحكم...فأخبر تعالى أن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعاً لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى –عليه السلام– من غير أب مَنْ يقرّ بوجود آدم –عليه السلام– من غير أب ولا أم، ووجود حواء –عليها السلام– من غير أم؟ فآدم وعيسى –عليهما السلام– نظيران يجمعهما الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به) [42]، وقوله: (**خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**) ((لم يقل من طين كما أخبر به سبحانه في غير موضع (**إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ**)[43]، وإنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنىً لطيف؛ وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفهما فيه، ولما كان المقصود مقابلة مَنْ ادّعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادّعى ذلك ،فلذلك كان الإتيان بلفظ (التراب) أمسَّ في المعنى من غيره من العناصر"[44] وهو من مشاكلة اللفظ للمعنى فمتى ما كان اللفظ جزلاً كان المعنى كذلك. وقال الإمام الشوكاني إن تزايد الصفات في المشبه به لا يقدح في انعقاد جملة التشبيه وإن كان المشبه به أشد عجباً وغرابةً وبيّن ذلك بقوله: "تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً من غير أب كآدم، ولا يقدح في التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة وهو كونه لا أم له، كما أنه لا أب له، فذلك أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه، وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه وأعظم عجباً وأغرب أسلوباً)) [45].

الآية الثالثة:

قوله تعالى: (**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [46].

((لفظ (مَا كَانَ) يدل على النفي، فتارة يدل ذلك النفي من جهة المعنى على الزجر والردع كقوله تعالى: (**مَا كَانَ لأَهْلِ المدينة وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الأعراب أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ الله**) [47]، وتارة يدل على التعجيز، كقوله تعالى: (**ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السماوات والأرض وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السمآء مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا**) [48]، وتار يدل على التنزيه كقوله تعالى هنا (**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ**) وقد اعقبه بقوله: (**سُبحَانَهُ**) أي تنزيهاً له عن اتخاذ الولد وكل ما لا يليق بكماله وجلاله، فقوله: (**مَا كَانَ لِلَّهِ**) بمعنى: ما يصح ولا يتأتى ولا يتصور في حقه جل وعلا أن يتخذ ولداً، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ... وفي هذه الآية الرد البالغ على النصارى الذين زعموا المحال في قولهم(عيسى ابن الله)... وقوله تعالى: (**إِذَا قضى أَمْراً**) أي أراد قضاءه (بدليل قوله في أخواتها في سورتي النحل ويس)... وفي قوله تعالى: (**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ**) زيدت فيه لفظة (**مِنْ**) المفعول به لتأكيد العموم، وقد تقرر في الأصول أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة (**مِنْ**) لتوكيد العموم كانت نصاً صريحاً في العموم)) [49]. فجاءت (**مِنْ**) لتدل على توكيد نفي الواحد والجماعة وفيه أيضاً أن الولد إنما يتخذه الفانون لديمومة النوع، والضعفاء كذلك لاكتساب النصرة، وأن الله تعالى هو

الدائم الباقي بقاءً أبدياً وأنه القوي القادر الذي لا يعجزه شيء، فما كان من صفاته تعالى اتخاذ الولد الذي يزعمون.((وجملة **(مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ)** تقرير لمعنى العبودية، أو تفصيل لمضمون جملة **(الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)** – في الآية التي قبلها – فتكون بمنزلة بدل البعض أو الاشتمال منها، اكتفاءً بإبطال قول النصارى بأن عيسى ابن الله، لأنه أهم بالإبطال، إذ هو تقرير لعبودية عيسى وتنزيه لله تعالى عما لا يليق بجلال الألوهية من اتخاذ الولد ومن شائبة الشرك، ولأنه القول الناشئ عن الغلو في التقديس، فكان فيما ذكر من صفات المدح لعيسى ما قد يقوي شبهتهم فيه بخلاف قول اليهود فقد ظهر بطلانه بما عدد لعيسى من صفات الخير.

وصيغة قوله تعالى:**(مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ)** تفيد انتفاء الولد عنه تعالى بأبلغ وجه لأن لام الجحود تفيد مبالغة النفي، وأنه مما لا يلاقي وجود المنفي عنه، ولأن في قوله تعالى: **(أَن يَتَّخِذَ)** إشارة إلى أنه لو كان له ولد لكان هو خَلَقَهُ واتّخذَهُ، فلم يَعْدُ أن يكون من جملة مخلوقاته، فإثبات البنوة له خُلْفٌ من القول، وجملة **(إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** بيان لجملة **(مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ)**؛ لإبطال شبهة النصارى إذ جعلوا تكوين إنسانٍ بأمر التكوين عن غير سبب معتاد دليلاً على أن المكوَّن ابن لله تعالى، فأشارت الآية إلى أن هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين)) [50].وقد لوحظ فن الالتفات جليّاً بين الأفعال الواردة في الآية ، فلو قرأنا الآية مرةً أخرى:

(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) نجد الآتي:

(كان) – (يتّخذ)، (قضى) – (يقول) – (كن) – (يكون)

ماض – مضارع – ماض- مضارع – أمر – مضارع

هو – هو – هو – هو – أنت – هو

إن هذا التقلّب في صيغ الأفعال سيؤدي إلى تحول في المستوى الزمني لكل منها، مما يعطي دلالة واضحة على المستوى الفكري وهذا بالتالي يكشف عن سرٍّ عظيم مخبوء في هذه الآية، وسرُّ العظمة فيها يكشفه طرفا الآية والمتمثل في قوله تعالى: **(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ)** وقوله تعالى: **(كُنْ فَيَكُونُ)**. الأولى تظهر أهميتها من خلال الادّعاء بأن لله ولد قد سموه عيسى –عليه السلام– وذلك الأمر عظيم عند الله تعالى ؛ لذلك يكون من جملة ما تحدّث به عيسى الوليد قولة الحق التي صدع بها **(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ)** فالله منزّهٌ عن هذه القضية ،وليس من شأنه أن يتّخذ ولداً، فالولد يتّخذه الضعاف للنُصرة والله باقٍ لا يُخشى فناءه، وقادر لا يحتاج مُعيناً، والكائنات كلها توجد بكلمة **(كُنْ)** **(إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**، فما يريد تحقيقه يتحقق بتوجّه الإرادة، لا بالولد والمعين، وهي الطرف الثاني المعادل لما ورد في بداية الآية الكريمة ؛ لهذا جاءت الصيغة الفعلية المتنوعة والمكثّفة ...لتعبر عن الطاقة الهائلة التي تحملها ، ولتقرر حقيقة كونية ثابتة بقدرة الله عز وجل اللامنتهية والتي تكون بين حرفي (الكاف والنون) وطبعاً هذا التكثيف في الأفعال يتبعه تكثيف في الضمائر وإن حافظ على ضمير الغيبة في أغلبها، إلاّ أن ضمير المخاطب جاء قبل الأخير منبهاً لعظم الأمر وهيبته)) [51].

المبحث الثالث

(كُنْ فَيَكُونُ) في سياق القدرة والإرادة الإلهية

الآية الأولى:

قوله تعالى: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[52].

((هذه الجملة متّصلة بجملة (...**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)**[53] لبيان أنّ جهلهم بمَدى قدرة الله تعالى هو الذي جرّأهم على إنكار البعث واستحالته عندهم، فهي بيان للجملة التي قبلها ولذلك فُصلت، ووقعتْ جملة **(لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الذي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ)** [54] .... اعتراضاً بين البيان والمبيّن ، والمعنى أنه لا يتوقف تكوين شيء إذا أراده الله إلا على أن تتعلّق قدرته بتكوينه وليس إحياء الأموات إلا من جملة الأشياء، وما البعث إلا تكوين ، فما بَعْث الأموات إلا

من جملة تكوين الموجودات، فلا يخرج عن قدرته، وأفادت **(إنّما)** قصراً هو قصر وقوع التّكوين على صدور الأمر به، وهو قصر قلب لإبطال اعتقاد المشركين تعذّر إحياء الموتى ظنّاً منهم أنّه لا يحصل إلا إذا سلمت الأجساد من الفساد كما تقدم آنفاً ، فأريد بـ **(قَوْلُنَا لِشَيْءٍ)** تكويننا شيئاً ، أي تعلّق القدرة بخلق شيء، وأريد بقوله: **(إِذَا أَرَدْنَاهُ)** إذا تعلّقت به الإرادة الإلهية تعلّقاً تنجيزيًا، فإذا كان سبب التكوين ليس زائداً على قول **(كُنْ)** فقد بطل تعذّر إحياء الموتى؛ ولذلك كان هذا قصر قلب لإبطال اعتقاد المشركين .

والشيء: أطلق هنا على المعدوم باعتبار إرادة وجوده، فهو من إطلاق اسم ما يؤول إليه، أو المرادُ بالشيء مطلق الحقيقة المعلومة وإن كانت معدومة، وإطلاق الشيء على المعدوم مستعمل.

و **(أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ)** خبر عن **(قَوْلُنَا)**، والمراد بقول **(كُنْ)** توجّه القدرة إلى إيجاد المقدور، عُبر عن ذلك التوجّه بالقول بالكلام كما عبّر عنه بالأمر في قوله: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**(55) ، وشبّه الشيء الممكن حصوله بشخص مأمور، وشبّه انفعال الممكن لأمْرِ التكوين بامتثال المأمور لأمر الآمر، وكلّ ذلك تقريب للناس بما يعقلون وليس هو خطاباً للمعدوم، ولا أن للمعدوم سمعاً يعقل به الكلام فيمتثل للآمر)) (56)، ويستسقى من الآية بيان ((كمال قدرته تعالى الموجبة للبعث وغيره فقال: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** فأمره بين الكاف والنون، فإذا كان إيجاد الأشياء من العدم بلفظ **(كُنْ)**، فأولى إعادتها، وكون أمره بين الكاف والنون كناية عن السرعة، وإلاّ فلا يحتاج إلى لفظ **(كُنْ)**، بل مهما أراد شيئًا أظهره؛ أقرب من لحظ العيون، وإنما جاءت العبارة على قدر ما تفهم العقول .... فالكلام إنما خرج مخرج الاستعارة أو المجاز، فلا يتوقف إيجاد الأشياء على **(كُنْ)**)) (57).

ومن المعاني الأخرى التي وردت في هذه الآية، طلاقة القدرة الإلهية، ونفي النصب والتعب عن الذات العلية إذ هو سبحانه منزّه عمّا يعتري الإنسان من عوارض وأحداث، وقد أشار الإمام الطبري (ت310هـ) في معرض حديثه عن الآية إلى ذلك بقوله:

((يقول تعالى ذكره: إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائنا لهم، ولا في غير ذلك ما نخلق ونكوّن ونحدث؛ لأنا إذا أردنا خلقه وإنشاءه، فإنما نقول له كن فيكون، لا معاناة فيه ولا كُلفة علينا، واختلفتْ القرّاءُ في قراءة قوله: **(فَيَكُونُ)**، فقرأه أكثر قرّاء الحجاز والعراق على الابتداء، وعلى أن قوله: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ)** كلام تامّ مكتف بنفسه عما بعده، ثم يبتدِئُ فيقال: **(فيكونُ..)** وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الشام وبعض المتأخرين من قرّاء الكوفيين **(فَيَكُونَ)** نصباً، عطفاً على قوله: **(أَنْ نَقُولَ لَهُ)** وكأن معنى الكلام على مذهبهم: ما قولنا لشيء إذا أردناه إلا أن نقول له: كن، فيكون وقد حُكي عن العرب سماعاً أُريدُ أن آتيَك فيمنعَني المطر، عطفًا بيمنعني على آتيك)) (58) وقال مجاهد: إن ابن عامر وحده قرأ (فيكونَ) بالنصب، وهو غلطٌ، وقرأ والباقون بالرفع على معنى الاستئناف يعني: **فهو يكونُ**. (59)

وحجة ابن عامر في قراءته (الجواب بالفاء وليس هذا من مواضع الجواب؛ لأن الفاء لا ينصب إلاّ إذا جاءت بعد الفعل المستقبل كقوله تعالى: **(لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ)** (60) ومعناه: فإن تفتروا يسحتكم ، وهذا لا يجوز في قوله تعالى: **(كُنْ فَيَكُونُ)** لأن الله تعالى أوجد بهذه اللفظة شيئاً معدوماً ، ودليله حُسْنُ الماضي في موضعه إذا قلت: كن فكان) (61)

الآية الثانية:

قوله تعالى: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** (62)

في الآية قصر من طريق (إنما)، والمقصود من **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً)** الجواب في أن هذا بيان لعدم تخلف الشيء عن تعلق إرادته تعالى به، يقول الإمام فخرالدين الرازي: (وفيه تعلق وإضافة لأن قوله تعالى **(يَقُولَ لَهُ)** باللام للإضافة صريح في التعلق ونحن نقول إن قوله للشيء الحادث حادث لأنه مع التعلق، وإنما القديم قوله وكلامه لا مع التعلق وكل قديم

وحادث إذا نظرت إلى مجموعهما لا تجدهما في الأزل وإنما تجدهما جميعا في مالا يزال فله معنى الحدوث ولكن الإطلاق موهم). (63)

فنوع القصر كذلك باعتبار طرفيه قصر الصفة على الموصوف، ونوعه بحسب الواقع قصر إضافي، بمعنى أن الصفة لا يتعدى الموصوف إلى موصوف آخر، والمقصور هنا (**أَمْرُهُ**) والمقصور عليه هو (**إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**).

والسبب في إفادة (إنما) معنى القصر، تضمينه معنى (ما وإلاّ) كما أن طريق (إنما) تكون أقوى من غيرها في تأكيد المثبت، لأن الكلام بها يكون إثباتا لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه، وإذا تساوى النفي في جميع طرق القصر فان الإثبات بـ (إنّما) يكون مضاعفاً؛ لأنّ كلمة (إنَّ) لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة لا النافية، ضاعف تأكيدها (64).

ولهذا فان طريق (إنما) (تجئ لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته ، أو لما يُنَزَّل هذه المنزلة) (65).

وقد أكدت الآية معناها من خلال أسلوب القصر بالمؤكدات المصاحبة لها ،أولها: إسمية الجملة وثانيها:دخول (إنما) عليها الدالة على القصر، ويلاحظ أن المسند قد ورد في الجملة على شكل وحدة إسنادية شرطية ونقف عنده في قوله تعالى: (**بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) فالجملة الاستئنافية الاسمية المركبة (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ**) هي جملة مؤكدة بالقصر المتوسل إليه بأداة الحصر (**إِنَّمَا**) والمسند إليه المعرف بالإضافة (**أَمْرُهُ**) والمسند الوارد كوحدة إسنادية شرطية. (66).

وفي الآية كذلك (فذلكة الاستدلال وفصل المقال؛ فلذلك فصلت عما قبلها كما تفصل جملة النتيجة عن جملتي القياس، فقد نتج مما تقدم أنه تعالى إذا أراد شيئاً تعلقت قدرته بإيجاده بالأمر التكويني المعبر عن تقريبه بـ(كن) وهو أخصر كلمة تعبر عن الأمر بالكون، أي الاتصاف بالوجود .والأمر في قوله تعالى: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ**) بمعنى الشأن؛ لأنه المناسب لإنكارهم قدرته على إحياء الرميم ، أي لا شأن لله في وقت إرادته تكوين كائن إلاّ تقديره بأن يوجده، فعبر عن ذلك التقدير الذي ينطاع له المقدور بقوله: (**كُنْ**) ليعلم أن لا يباشر صنعه بيد ولا بآلة ولا بعجن مادّة ما يخلق منه كما يفعل الصنّاع والمهندسون؛ لأن المشركين نشأ لهم توهُّمُ استحالة المعاد من انعدام المواد فضلاً عن إعدادها وتصويرها؛ فالقصر إضافي لقلب اعتقادهم أنه محتاج إلى جمع مادة وتكييفها ومضيّ مدّة لإتمامها) (67). فالقصر (يمارس مهمته الإنتاجية في منطقة الإسناد وما يتعلق بها...، وهذه المهمة الإنتاجية تجمع بين وظيفتين على صعيد واحد، هما: الإثبات والنفي: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، أي أن المهمة تمارس فاعليتها في الحضور والغياب) (68)، ففي قوله تعالى: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ**) الحكم مثبت له تعالى ومنتفٍ عن الأغيار، وتلك هي وظيفة القصر التي ترمز إلى الغياب والحضور.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: (**هُوَ الّذِي يُحْيِي وَيُمِيْتُ فَإِذا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) (69).

جاءت الآية في سياق الخلق والتكوين كأخواتها لاكتنافها بسابقتها وهي قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)(70) ، وقال ابن عاشور إن الآية واحدة من استئنافات عديدة بعد أن عدَّ الآيات التي قبلها من الاستئناف بقوله: (استئناف خامس ومناسبة موقعه من قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ**) إلى قوله تعالى: (**وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) فإن من أول ما يرجى أن يعقلوه هو ذلك التصريف البديع بخلق الحياة في الإنسان عند تكوينه بعد أن كان جثةً لا حياة فيها، وخلق الموت فيه عند انتهاء أجله بعد أن كان حياً متصرفاً بقوته وتدبيره ، فمعنى (**يُحْيِي**) يوجد المخلوق حياً، ومعنى (**يُمِيْتُ**) أنه يعدم الحياة عن الذي كان حياً، وهذا هو محل العبرة . وأما إمكان الإحياء بعد الإماتة فمدلول بدلالة قياس التمثيل العقلي وليس هو صريح الآية، والمقصود الامتنان بالحياة تبعاً لقوله تعالى قبل هذا: (**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ**) إلى قوله تعالى: (**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا**). وفي قوله تعالى: (**يُحْيِي وَيُمِيْتُ**) المحسن البديعي المسمى الطباق، وفرع على

هذا الخبر إخبار بأنه إذا أراد امراً من أمور التكوين من إحياءٍ او إماتةٍ أو غيرهما فإنه يقْدر على فعله دون تردّدٍ ولا معالجةٍ، بل بمجرد تعلق قدرته بالمقدور، وذلك التعلق هو توجيه قدرته للإيجاد أو الإعدام، فالفاء من قوله تعالى: **(فَإِذا قَضَى)** فاء تفريع الإخبار بما بعدها على الإخبار بما قبلها.

وقوله تعالى: **(كُنْ)** تمثيل لتعلق القدرة بالمقدور بلا تأخير ولا عُدّةٍ ... وقد اختير لتقريب ذلك أخصرَ فعلٍ وهو **(كُنْ)** المركب من حرفين متحرك وساكن) (71). وقد استدل بهذه التحولات والانتقالات التي تطرأ على عملية تكوين الإنسان بالإله القادر الذي لا تتقيد قدرته بزمان، إذ هو خالق الزمن وله القدرة المطلقة في الماضي والحال والاستقبال ، وهو جل شأنه كذلك القادر قدرة مطلقة على الإحياء والإماتة ؛لذلك قال بعدها: **(هُوَ الّذِي يُحْيِي وَيُمِيْتُ فَإِذا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).**

وذكر الفخر الرازي ثلاثة أوجه في قوله تعالى: **(فَإِذا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** فقال: (فيه وجوه الأول: معناه أنه لما نقل هذه الأجسام من بعض هذه الصفات على صفة أخرى لم يتعب في ذلك التصرف ولم يحتج إلى آلةٍ واداةٍ، فعبّر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما إذا قال: **(كُنْ فَيَكُونُ)** والوجه الثاني: أنه عبّر عن الإحياءِ والإماتةِ بقول **(كُنْ فَيَكُونُ)** فكأنه قيل: الانتقال من كونه تراباً إلى كونه نطفةً إلى كونه علقةً انتقالات تحصل على التدريج قليلاً قليلاً، وأمّا صيرورة الحياة فهي إنّما تحصل لتعليق جوهر الروح النطفية به وبذلك يحصل دفعةً واحدةً فلهذا السبب وقع التعبير عنه بقوله: **(كُنْ فَيَكُونُ)**، والوجه الثالث: إن من الناس من يقول إنّ تكوّن الإنسان إنّما ينعقد من المنيّ والدّمِ في الرحم مدّةً معينةً وبحسب انتقالاته من حالاتٍ إلى حالاتٍ، فكأنّه قيل يمتنع أن يكون كل إنسانٍ عن إنسان آخر؛ لأن التسلسل محال ، ووقوع الحادث في الأزل محال فلا بد من الاعتراف بإنسانٍ هو أول الناس فحينئذٍ يكون حدوث ذلك الإنسان لا بواسطة المنيّ والدّمِ، بل بإيجاد الله تعالى له ابتداءً، فعبّر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله: **(كُنْ فَيَكُونُ)**) (72) وقد اسست الآية على أساس التي قبلها فبناؤُها كبنائِها؛ لأنها بُنِيَتْ على (الابتداء بالضمير ثم الاسم الموصول وكل الذي يأتي بعد الاسم الموصول داخل في الصلة ومكملٌ لها وبقية الآية صلة الموصول ، والجملة معرّفة الطرفين وتفيد القصر ، بمعنى أن هذه الأعمال والأفعال والأحوال الداخلة في حيّز الصلة لا تكون البتةَ إلاّ منه تعالى ؛ لأنه يستحيل صدورها إلاّ من المعبود بحقّ ..... ثم قوله تعالى: **(يُحْيِي)** راجع إلى ما بُنيتْ عليه الآية السابقة وهي قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ....)** وقوله تعالى: **(وَيُمِيْتُ)** راجع إلى قوله **(وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى)**، فهذه الآية بنيتْ على فعلين هما **(يُحْيِي وَيُمِيْتُ)** وما بعدهما مفرع عنهما وبيانٌ لكيفية صدور الأفعال من الحقّ جلّ سلطانه سواءٌ كانت هذه الأفعال إحياءً وإماتةً أو خلقاً أو فناءً .... وعلى هذا تكون هذه الآية بمثابة توكيد للآية التي قبلها، ويكون بين الآيتين كمال الاتصال، ولهذا اتصلت الثانية بالأولى من ذات نفسها واستغنت عن الواصل .... ثم إن الإحياء والإماتة في هذه الآية عامّان وهذا هو الفرق بينها وبين التي قبلها؛ لأن التي قبلها تتحدّث عن خلق الإنسان إلى أجل وهذه تتحدّث عن أنه سبحانه يحيي ويميت من غير أن يكون هناك مفعول للفعل، والمعنى يكون منه الإحياء وتكون منه الإماتة لكل من يوصف بهما من إنسانٍ وحيوانٍ وطيرٍ ونباتٍ، والأرض الميتة التي جعل الله إحياءها آية، وبناءً على هذا يكون التوكيد هنا بالفعل الأعمّ ..... وقد قدّم فعل **(يُحْيِي)**؛ لأنّ الموت لا يقع إلاّ على حيّ، وفي هذه الآية كالتي قبلها دليل البعث لأنهم ينكرون الرجع والنشر والبعث بعد موتهم وصيرورتهم تراباً، ووجه الدليل هنا هو أن القادر على الإحياء الأول قادر على الإحياء الثاني؛ ولذلك جاء الفعلان من غير مفعول؛ لأن المعنى يكون منه هذا وذاك .... في أي وقت شاء وعلى أي مخلوق شاء) (73) وتتمثل ظاهرة الطباق بين الفعلين **(يُحْيِي وَيُمِيْتُ)** لتسهم في إيضاح الدلالة على أوسع نطاق على أن الإحياء والإماتة بيده سبحانه وتعالى دون تكلف في تحقيقهما تنزه عن ذلك وتقدس في علاه، فالأمر في قوله (كُنْ) هو أمر على الإلزام والمثول لإرادته ومشيئته.

الخاتمة

وفي الختام توصل البحث إلى بعض النتائج الآتية:

1- تبيّن أن صيغة المبالغة قد تأتي في السياق مجرّدةً عن صيغتها كما في قوله تعالى: **(بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [البقرة: 117]. فإذا كانت في حق الله سبحانه وتعالى تخلّت عن المبالغة؛ لأنها له حقيقة. أمّا إذا كانت في حق الآدميين كانت مبالغة.

2- تزايد الصفات في المشبه به لا يقدح في انعقاد جملة التشبيه وإنْ كان المشبّه به أشد عجباً وغرابةً من المشبّه كما في قوله تعالى: **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [آل عمران: 59]. فعيسى –عليه السلام– ولد من غير أب أمّا آدم –عليه السلام– فمن غير أب وأم وهو أغرب وأعجب، وقد انعقدت جملة التشبيه دون قدحٍ أو خلل في أركان التشبيه.

3– في قوله تعالى: **(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)** [الأنعام: 73]. جاء الأسلوب على طريقة حذف المخبر عنه في مقام تقدّم الصفات، فتمّ الاستغناء عن المسند إليه بدلالة الصفة الواردة عليه، واعتماداً على طريقة الاستعمال في تعقيب الخبر بإيراد ما هو أعظم منه ممّا جعل المخبر عنه مسنداً إليه ويلتزم حذفه.

4– قوله تعالى: **(كُنْ فَيَكُونُ)** في جميع الآيات التي ورد فيها. جلُّ العلماء على أنها كناية عن السرعة لأن الله تعالى لا يحتاج إلى لفظة **(كُنْ)** في إيجاد الأشياء وإنّما عبر عنها للتّمثيل لنا، فمهما أراد شيئاً أوجده أقرب من لحظ العيون؛ لذلك جاءت العبارة على قدر فهم العقول وخرجت مخرج الاستعارة او المجاز، فلا يتوقف إيجاد الأشياء أو انعدامها على لفظة **(كُنْ)** وإنّما هو تعلّق الإرادة والقدرة الإلهية في كل ذلك.

الهوامش

(1) البقرة: 280.

(2) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس: 429/2. مادة (كون).

(3) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 180/1.

(4) معاني القرآن: الأخفش الأوسط: 142.

(5) التحرير والتنوير: 669/1.

(6) ينظر: معاني النحو: د. فاضل السامرائي: 1 /190 – 199.

(7) البقرة: 117.

(8) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بـ(تفسير ابي السعود) ، ابو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، 226/1.

(10) البقرة: 116.

(11) الآية: 101 .

(12) ينظر: ابن منظور: 342/1 ، مادة (بدع) .

(13) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ، 38.

(14) من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم: د. السيد خضر، 109 – 110.

(15) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها: عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني: 1 / 141.

(16) البقرة: ١٨

(17) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: 667/1 – 668.

(18) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد علي الشوكاني: 261/1.

(19) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ، 37.

(20) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها: الميداني: 809.

(21) البديع في ضوء أساليب القرآن: د. عبدالفتاح لاشين، 26.

(22) ينظر: م. ن: 25

(23) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 286/1.

(24) يس 82.

(25) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المشهور بـ (تفسير الآلوسي): محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي:366/1

(26) تفسير السمرقندي (بحر العلوم): 116/1 .

(27) الأنعام: 73.

(28) التحرير والتنوير: 166/6 -167.

(29) ينظر: التحرير والتنوير: 168/6.

(30) سيد قطب: 3/ 83.

(31) آل عمران: 47.

(32) الفرقان: 30.

(33) الزخرف: 88.

(34) الآية: 30.

(35) آل عمران: 45 – 46 .

(36)ينظر: بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني: 323 ، نور الدين دحماني ، أطروحة دكتوراه ، إشراف: د. أحمد مسعود ، كلية اللغات والآداب والفنون ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2012م.

(37)التحرير والتنوير: 3/ 99.

(38)ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي): عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي:165/1.

(39)تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: 1/ 315.

(40)آل عمران: 59.

(41)اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: 64/13.

(42)التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: 112/3.

(43)أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي: 4/ 443 و 449-450.

(44)سورة: ص 71.

(45)البرهان في علوم القرآن: بدرالدين الزركشي: 860.

(46)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: 1 / 572.

(46)مريم: 35.

(47)التوبة: 120.

(48)النمل: 59 – 60.

(49)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي: 4 / 200 – 201. وينظر: الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح العثيمين: 27.

(50)تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: 16 / 37.

(51)المستوى البلاغي في سورة مريم: د. فيصل حسين طحيمر غوادرة، 648، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) مج17، العدد: الأول جامعة القدس المفتوحة – جنين ، 2009م.

(52)النحل: 40.

(53)النحل: 38.

(54)النحل: 39.

(55)يس: 82.

(56)التحرير والتنوير: 13/ 125 – 126.

(57)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة الفاسي: 11 / 32

(58)تفسير جامع البيان في تأويل القرآن: 204/17 - 205 ، وينظر: الجامع لأحكام القران: شمس الدين القرطبي: 106/10.

(59)ينظر: كتاب السبعة في القراءات: 168 – 169.

(60)طه: 61.

(61)الحجة في القراءات السبعة: ابن خالويه: 88 . وينظر: الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين: هادي عطية مطر الهلالي: 583 – 584.

(62)يس: 82.

(63)التفسير الكبير المسمى بـ (مفاتيح الغيب): 26/ 111-112 ، ، ، دار الفكر،ط1 ،د.م ، 1981م

(64)ينظر: مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي ، 402-403.

(65)دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، 216.

(66)ينظر: الجملة في القرآن الكريم:صورها وتوجهها البياني: رابح أبو معزة، 167.دار رسلان ، دمشق ،2014م.

(67)تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: 22 / 281-282.

(68) البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب ، 261

(69)غافر: 68.

(70)غافر: 67.

(71)التحرير والتنوير: 24 / 241-242

(72)التفسير الكبير المسمى بـ (مفاتيح الغيب): 27 / 87 .

(73)آل حم غافر – فصلت، دراسة في أسرار البيان: محمد أبو موسى: 253 – 254 ، مكتبة وهبة – ط1 – القاهرة – 2009م .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق: محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 – 2012م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بـ (تفسير أبي السعود): أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي – تحقيق: محمد بن العفيفي و خيري بن سعيد – دار المصطفى للطباعة – القاهرة – د.ط – 2011م.

الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح العثيمين – تحقيق: أشرف بن صالح العشري – دار الإيمان – الأسكندرية – 2001م.

اضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط4 – 2011م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي): عبدالله عمر الشيرازي البيضاوي – تحقيق: محمود عبدالقادر الأرناؤوط – دار صادر – بيروت – ط2 – 2004م.

الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني – تحقيق: إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 – 2010م.

بحر العلوم (تفسير السمرقندي): نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي – تحقيق: د. محمود مطرجي – دار الفكر – بيروت – د.ط – د.ت .

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفارسي – تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان – د.م – د.ط – القاهرة – 1999م.

البديع في ضوء أساليب القرآن: د. عبدالفتاح لاشين – دار الفكر العربي – القاهرة – د.ط – 1999م.

البرهان في علوم القرآن: بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي – تحقيق: أبو الفضل الدمياطي – دار الحديث – القاهرة – د.ط – 2006م.

البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني – دار القلم – دمشق – ط1 – 1996م.

البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبدالمطلب – الشركة المصرية العالمية – لونجمان – مصر – د.ط – 1997م.

تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بـ (أبي حيان الأندلسي) تحقيق: زهير جعيد – دار الفكر – بيروت – د. ط – 2010م.

تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور – مؤسسة التاريخ – بيروت – ط1 – د.ت .

التفسير الكبير المسمى بـ (مفاتيح الغيب): محمد الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بـ(خطيب الري) – دار الفكر – بيروت – ط1 – 1981م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري – تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي – دار هجر – د.ت .

الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة - ط2– 1964م.

الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني – رابح أبو معزة – دار رسلان – دمشق – د.ط – 2014م.

الحجة في القراءات السبعة: ابن خالويه – تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم – دار الشروق – القاهرة – ط3 – 1979م.

دلائل الإعجاز: عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني – تحقيق: عبدالحميد الهنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 2001م.

روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني المشهور بـ (تفسير الآلوسي): شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية - دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1415 هـ .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير – محمد علي الشوكاني – تحقيق: عبدالرحمن عميرة – دار ابن حزم – بيروت – ط3 – 2005م.

في ظلال القرآن: سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – ط1 – 1972م.

كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي – تحقيق: د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – دزت .

اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحلبي – تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1998م.

معجم لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور – تحقيق: أمين محمد عبدالوهاب و محمد الصادق العبيدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط3 – د.ت .

مفتاح العلوم: يوسف بن محمد بن علي ابو يعقوب السكاكي – تحقيق: عبدالحميد الهنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 – 2011م.

المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الأصفهاني): تحقيق: محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – د.م – د.ت .

من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم – دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي: د. السيد خضر – دار الوفاء – مصر – ط1 – 2001م.

الرسائل والأطاريح الجامعيّة:

بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني: نورالدين دحماني – أطروحة دكتوراه – إشراف: د. أحمد مسعود – كلية اللغات والآداب والفنون – جامعة وهران – الجزائر – 2012م.

البحوث والمنشورات:

المستوى البلاغي في سورة مريم ك فيصل حسين طحيمر غوادرة – مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) – مج17 – عدد1 – جامعة القدس المفتوحة – جنين – 2009م.

پوختــه

دڤێ ڤەكولینێدا بە حسێ هندەك بابەتین قورئانا پیروز دهێتە كرن یێت (بلاغی) یان رەوانبێژی وەكی ئە و ئایە تا ڤەكولینا مە لسەر (كن فیكون)، كو گرنگی ب بابەتێن رە وانبیژی هاتنیەكرن ل هە ر سێ بەشێن وێ ڤە گرێدای، كو ئەڤە هە و لە كە بو دیاركرنا وان نهێنییێن دڤێ چارچو ڤێدا هاتینە بكارئینان دیاربكە ت، هاتنا ریژەییێن كاری ئەوین دناڤدا هاتین ئەڤەنە: (بوری - رانە بردوو - داخاری)، هە روە سا تێدا بە حسێ ئاراستە یا رەوانبێژیا قورئانا پیروز هاتیەكرن، وهە روە سا تێدا بەحسێ جهێ شروڤەكرنی دكەت، وبوچوونا زانایان لدور ئایەتا (كن فیكون).

وئەو پە یڤا هاتیە نڤێسن د قورئانێدا (الشیو - شیئًا) دچەند سیاقادا یان دچارچوڤاندا هاتیە بكارهینان، وگەلەكێن دیتر، كو جیاوازی دگەلدا هەین، وجهناڤێ نەدیار وە كی (الغیب) یعنی جهناڤی ئەوە كو تیدا پەیڤا (كن) دهیتە بكارئینان.

وبڤی شێوازی ورەنكی دی هاریكاریا خواندنی، كو من دایە دیاركرن وب هویری د بابە تان بكە هن راستیێ بهیتە نڤێسین.

RHETORICAL READING IN AYAT (KON FAYAKON)

MUTHANNA MAHMOOD ISMAEL
Dept. of Arabic Language, Faculty of Humanities, University of Zakho, Kurdistan Region-Iraq

ABSTRACT

The study presents a number of rhetorical issues on the verses of Holy Qur'an that contain the words of the Almighty Allah (Kon Fayakon), This is done through rhetorical analysis of the verses that included the arts of those sciences, including an attempt to find some of their secrets according to the contexts in which they were mentioned, like the forms of verbs and their significance resulting from the contrast of tense (past, present and imperative), Including what dealt with the rhetorical guidance of the readings of Qur'an in it when the verb's expression differs in the place in which it was mentioned, and the presentation of the scholars' opinions and their doctrines on the meanings of the present tense of the verb associated with the fulfillment after the universe represented by the Almighty's saying: (Be, So, it is). In addition to their directions in the Almighty's saying of (a Thing or Something), which came in the context of the verses, was the intent of them in the unseen or the testimony, some of them went to that the unseen does not bear the matter by His saying: (Be). Because the thing does not exist in the realm of testimony, and it linked that to being in the knowledge of Allah, so it was like the existent, others saw that the intent of the verb is to represent us, Because the matter is related to Allah's will and will, the Highest, whenever what He wanted, the desired thing was achieved without saying it matter is related to Allah's will and His determination, the Highest, so whenever He wills, the desired thing takes place without His saying it (Be). Since, His command, the Almighty, does not lack (Be); Therefore, it was a depiction and representation of the reader and the listener together, and accordingly, the aim of this study, through the pleading of analyzing these holy verses, was to identify such subtle and solemn secrets, and Allah is the Grantor of the Right Path.

KEYWORDS: Rhetoric, Kon Fayakon, Creation, Heavens And Earth, Capability And Willingness